فلسفة التعامل مع الشبهات العقائدية والفكرية وآثارها عند الإمام الهادي(عليه السلام)

م. د. علي زناد كلش

المديرية العامة لتربية ميسان

الملخص

يشكّل موضوع ""فلسفة التعامل مع الشبهات العقائدية والفكرية وآثارها عند الإمام الهادي(عليه السلام)" ذات أهمية بالغة وضرورة مُلحّة في وقتنا الحاضر لا سيما بعد انتشار الحركات الفكية المضللة ، فبقدر ما يشكّل هذا الموضوع إبراز لدور الإمام الهادي (عليه السلام) ومكانته العلمية يقف في قباله التوظيف الأمثل لهذا الموضوع في معالجات حاضرة لجملة من الشبهات الفكرية ، وضرورة التنبه لتلك الشبهات وسبل معالجتها بالطريقة المثلى ووأدها في المهد حتى لا تنشر وتأخذ مديات أوسع في جسم الأمة الإسلامية ، نظراً لخطورتها ودورها في زعزعة البناء العقائدي للمسلم ومحاولة حرفه عن جادة الحق والصراط السوي ، فكان هذا الموضوع محاولة متواضعة من الباحث للإسهام في بيان جملة من الشبهات وكيفية التصدي لها على يد الإمام الهادي(عليه السلام) وإبراز الآثار الإيجابية التي تمخضت عنها تلك المواقف المدروسة والناظرة ليس للحاضر بل للمستقبل، وهذه المواقف المدروسة والعلمية من الإمام (عليه السلام)من تشخيص لتلك الشبهات ومعالجتها قطفت ثمارها مما دعا بعضهم إلى الاعتراف بالخطأ والرجوع إلى جادة الحق.

The philosophy of dealing with ideological and intellectual suspicions and their implications for Imam Al-Hadi (peace be upon him)

Lect .Dr. Ali Znaud Kalsh

The general directorate of education in the province of Maysan

Abstract

The topic "The philosophy of dealing with ideological and intellectual suspicions and their implications for Imam Al-Hadi (peace be upon him)" comprises a great importance and an urgent necessity in our present time, especially after the spread of atheistic movements, to the extent that this topic constitutes a highlight of the role of Imam al-Hadi (peace be upon him) and his scientific standing, the optimal employment of this topic stands beside of it in present treatments of a number of intellectual suspicions, and it is necessity to stimulation of those suspicions and ways treating it in the best way and finishing it so as not to spread and take wider ranges in the framework of the Islamic state, due to its seriousness and role in destabilizing the ideological structure of the Muslim and trying to corrupt him from the path of truth. However, this topic is a modest attempt to explain a number of suspicions and how to ward off it by Imam Al-Hadi (peace be upon him), it highlights the positive effects that resulted from these studied and theoretical positions, not just for the present but for the future, and these studied and scientific attitudes from the Imam of diagnosing and treating these suspicions donates their results, which prompted some of them to admit their error and return to the path of truth.

المقدمة

الحمد لله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم بديع السماوات والأرض وما بينهما ، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد بن عبد الله ﴿ ﷺ ﴾ وعلى آله الطيبين الطاهرين ، ومن سار على هديهم إلى يوم الدين .

تشكّل الدراسات المرتبطة بأئمة أهل البيت(عليه السلام) حقلاً خصباً في ميدان الفكر الإسلامي ، نظراً لشمولية العلوم عند أهل البيت(عليه السلام) ودورها في تقويم الحياة العامة ، وبيان ما أُستشكل على الناس من قضايا تمس صميم البناء العقائدي والفكري لهم ، والموضوع الذي ارتأينا دراسته "فلسفة التعامل مع الشبهات العقائدية والفكرية وآثارها عند الإمام الهادي ﴿ ﷺ "﴾ يُعدّ واحداً من مضامين الفكر الإسلامي الأصيل الذي يضع الأشياء في مواضعها ويقوّم السلوك والفكر المنحرفين للفرق والجماعات والأشخاص ، لنجد من خلال هذه الدراسة الصور النوعية الضدية للأفكار الهدامة وسبل التصدي والمعالجة لها ، وهذا ما نجده عندما يستمر بنا التجوال في هذه الرياض النضرة المزدهرة ، أو نقف على أزاهيرها العطرة الزاهية ، تطالعنا ألوان شتى من الدروس والتوجيهات ، وضروب مختلفة من الإرشادات والتنبيهات ، وقد عُنيت جمعياً ببناء فكر الإنسان المسلم وإبعاده عن شذوذ التطرف وصده عن الخروج على المنهج الوسط المنزه من الإفراط والتفريط .

والسؤال الذي يفرض نفسه في هذا المقام ما الأسباب التي دعت لدراسة مثل هكذا موضوع ؟

أولاً : أن البحث والكتابة عن أئمة أهل البيت(عليهم السلام) تُعدّ سياحة روحية ، تسمو بها النفوس، وتخشع لها القلوب ، وتزكو بها الهمم ، وتُشحذ فيها الأرواح والأجسام والعقول والجوارح، وترسم لنا معالم المنهج التربوي في الإسلام ، وتشرح لنا أهداف هذا المنهج ومقوماته ووسائله ونتائجه ونستمد منها ثقافة التكوين في إعداد الفرد المسلم .

ثانياً : قلة الدراسات المرتبطة بشخصية الإمام الهادي (عليه السلام) فلم يُسلّط الضوء عليها كثيراً ، ولعل أحد الأسباب هو ندرة المصادر التي تحدثت عن هذا الإمام الهمام نتيجة التعتيم من السلطة العباسية لتغييب هذا الفكر الوضاء.

ثالثاً : الضرورة والحاجة المُلحّة لطرح مثل هكذا موضوع في وقتنا الحاضر ، لا سيما مع انتشار الحركات المنحرفة ، فيكون هذا الموضوع . إن شاء الله . مساهمة في تصحيح ما نراه اليوم من فكر منحرف ورد على بعض الشبهات .

تنوعت موضوعات البحث في معالجة تلك الشبهات كلٌ حسب مكانه في الجانب العقائدي والفكري وفق تقسيم موضوعي بيناه في تضاعيف البحث .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين .

المبحث الاول : موقف الإمام الهادي من الشبهات العقائدية المتعلقة بالعدل الإلهي

عاصر الإمام الهادي (عليه السلام) ستة من الخفاء العباسيين وهم كلا من المعتصم (٢١٨ هـ – ٢٢٧ هـ) والواثق (٢٢٧هـ –٢٣٢هـ) والمتوكل (٢٣٢هـ –٢٤٧ هـ) والمنتصر (٢٤٧هـ – ٢٤٨ هـ) والمستعين (٢٤٨ هـ –٢٥٢ هـ) والمعتز (٢٥٢ هـ – ٢٥٥ هـ) وكان عصراً يموج بالفتن والاضطرابات لا سيما بعد تسلط الأتراك ، واشتداد المناظرات الكلامية بين الفرق الإسلامية في قضايا عقائدية وفكرية عدّة ، إذ ساد في عصره انحراف فكري بنشر الفرق المنحرفة عقائدهم، وبثهم للشبهات الموجهة نحو العقيدة الحقة؛ من أهمها التجسيم، وخلق القرآن والجبر والتفويض وغيرها .

ولما كانت مهمة أئمتنا الأطهار (عليهم السلام) تحصين الأمة عقائدياً والحفاظ عليها من المنزلقات الفكرية ، كان للإمام الهادي (عليه السلام) مواقف سجلها التاريخ ، وأن لم يشبعها تفصيلاً إلا إن المصادر ذكرت مواقف الإمام الهادي (عليه السلام) وبيّنت تلك الإضاءات التي اسهمت في الحفاظ على العقيدة الإسلامية من الغلاة والمنحرفين الذين يحاولون جاهدين إثارة الزوابع الفكرية في وجه الأمة لحرف مسارها الصحيح الذي رسمته السماء ، ولنا أن نُبيّن جملة من هذه الانحرافات وموقف الإمام(عليه السلام) منها وهي كالآتي :

أولاً : موقف الإمام الهادي (عليه السلام) من الصوفية

شدّد الإمام الهادي (عليه السلام) في التحذير من الاختلاط بهم . أيّ الصوفية . إذ روى أحد صحابة الإمام الهادي(عليه السلام) قال : كنت مع أبي الحسن الهادي (عليه السلام) في مسجد النبي ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ فأتاه جماعة من أصحابه منهم أبو هاشم الجعفري[1] ، وكان بليغاً وله منزلة مرموقة عند الإمام (عليه السلام) وبينما نحن وقوف اذ دخل جماعة من الصوفية المسجد فجلسوا في جانب منه ، وأخذوا بالتهليل ، فالتفت الإمام (عليه السلام) إلى أصحابه فقال لهم :

" لا تلتفتوا إلى هؤلاء الخدّاعين فإنّهم حلفاء الشياطين ، ومخرّبو قواعد الدين ، يتزهّدون لإراحة الأجسام ، ويتهجّدون لصيد الأنعام ، يتجرّعون عمراً حتى يديخوا للايكاف حمراً ، لا يهللون إلاّ

لغرور الناس ، ولا يقلّلون الغذاء إلاّ لملء العساس واختلاس قلب الدفناس[٢] ، يكلّمون الناس باملائهم في الحبّ ، ويطرحونهم بإذلالهم في الجب ، أورادهم الرقص والتصدية ، وأذكارهم الترنّم والتغنية ، فلا يتبعهم إلاّ السفهاء ، ولا يعتقد بهم إلاّ الحمقاء ، فمن ذهب إلى زيارة أحدهم حياً أو ميتاً ، فكأنّما ذهب إلى زيارة الشيطان وعبادة الأوثان ، ومن أعان واحداً منهم فكأنّما أعان معاوية ويزيد وأبا سفيان".

فقال أحد أصحابه : وإن كان معترفاً بحقوقكم ؟.

فزجره الإمام (عليه السلام) وصاح به قائلاً : « دع ذا عنك ، من اعترف بحقوقنا لم يذهب في عقوقنا ، أما تدري أنّهم أخسّ الطوائف ، والصوفية كلهم مخالفونا ، وطريقتهم مغايرة لطريقتنا ، وإن هم إلاّ نصارى أو مجوس هذه الأُمة ، أُولئك الذين يجتهدون في إطفاء نور الله بأفواههم ، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون"[٣] ، وهنا يُبيّن الإمام الهادي (عليه السلام) أهمية النظر للجوهر لا المظهر الذي ينخدع به العامة ، فالأمور الحقة توضع في نصابها الصحيح وليس الأمور الملتوية ، والخطاب الذي نلحظه للإمام الهادي (عليه السلام) خطاب شديد اللهجة ، والذي يبدو إن الإمام (عليه السلام) تعمّد ذلك لكي يكون للتحذير الشديد وقعه النفسي عند الأخرين ليمتنعوا منهم ويقاطعوهم ، لا سيما وإن المقاطعة الاجتماعية والعزلة أشد أنواع العقوبات للطرف الآخر ليشعر بتهميشه ودونيته الاجتماعية ليرتدع عما سلك من طريق ملتوي ، وأشار أحد الباحثين إلى ذلك بالقول " ونهى الإمام الهادي(عليه السلام) أصحابه وسائر المسلمين عن التواصل مع الصوفية والاختلاط بهم ، لأن زهدهم لم يكن حقيقياً وإنما لإراحة أبدانهم ، وأن تهجدهم في الليل لم يكن نسكاً وإخلاصاً في طاعة الله تعالى ، وإنما وسيلة لصيد أموال الناس وإغوائهم ، وأن أورادهم ليست عبادة خالصة لله بل هي رقص وغناء ، وأن أتباعهم هم الحمقى والسفهاء"[٤] .

إذ يتبيّن من موقف الإمام الهادي (عليه السلام) تجاه الصوفية الآتي كما أشار إليه أحد الباحثين :

١. عدم إعطاء الأهمية والاحترام للمرائين من أدعياء التصوّف .

٢. إن هؤلاء القوم من حزب الشيطان ودورهم تخريب الدين .

٣. : اتباعهم السفهاء والحمقى .

٤. : عدم زيارة أئمتهم احياء واموتا لأنها كزيارة الشيطان وعبادة الأوثان .

٥. : عدم مساعدتهم فإنها كمساعدة الأمويين أمثال معاوية ويزيد وأبي سفيان"[٥].

ثانياً : موقف الإمام الهادي(عليه السلام) من قضية خلق القرآن

الأمر الآخر الذي تصدى له الإمام الهادي (عليه السلام) ما يخص تبني فرقة المعتزلة لمسألة غاية في الخطورة ألا وهي قضية خلق القرآن التي لاقت رواجاً واسعاً لا سيما بعد دعم السلطة السياسية العباسية لهم المتمثلة بالمأمون العباسي ، فكانت الوسطية في عدم تدخل الشيعة بهذا الفخ الذي نصبته السلطة العباسية للتصفية السياسية بالخصوم هو العلاج الأنجع لمثل هكذا فتن وشبهات، وأشار إلى مدى خطورة هذه المسألة أحد الباحثين قائلاً : " من المسائل الرهيبة التي ابتلي بها المسلمون في حياتهم الدينية ، وامتحنوا أشدّ ما يكون الامتحان هي مسألة (خلق القرآن) ، فقد ابتدعها الحكم العباسي وأثاروها للقضاء على خصومهم ، وقد قتل خلق كثيرون من جرّائها ، وانتشرت الأحقاد والأضغان بين المسلمين"[٦] ، فكان جواب الإمام الهادي (عليه السلام) إلى أحد شيعته بعدم الإدلاء بأي رأي بهذا المضمار وهو في الحقيقة خطاب عام للشيعة أنذاك، لا إلى جانب خلق القرآن ، ولا إلى جانب قِدمه ، إذ روي كتب علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا (عليهم السلام) إلى بعض شيعته ببغداد " (بسم الله الرحمن الرحيم ، عصمنا الله وإيّاك من الفتنة فإن يفعل فأعظم بها نعمة وإلاّ يفعل فهي الهلكة نحن نرى أنّ الجدال في القرآن بدعة اشترك فيها السائل والمجيب فتعاطى السائل ما ليس له وتكلّف المجيب ما ليس عليه ، وليس الخالق إلاّ الله وما سواه مخلوق ، والقرآن كلام الله لا تجعل له اسماً من عندك فتكون من الضالّين جعلنا الله وإياك من الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون)" [٧] ، إذ أدت هذه التوجيهات إلى عدم توريط الشيعة في هذه المناورة السياسية التي ابتدعتها السلطة العباسية بهذا الرأي السديد ، وأشار أحد الباحثين لذلك بقوله " فما أبلغ ما جاء في هذا الكتاب الكريم المختصر الذي يجتث تلك البدعة من أصولها ، ويقرّر رأي الإمام (عليه السلام) بأوضح بيان وأقوى دليل ، إذ الله تعالى وحده هو الخالق وما سواه مخلوق قد فاض عن إرادته سبحانه

ومشيئته ، والكلام خارج هذا الإطار لغو ولهو وضلالة تؤدي بالسائل إلى الوقوع في المحذورات حين يتكلم بما هو من شأن الخالق عز وجل ، وتؤدي بالمجيب إلى التكلّم رجماً بالغيب إذ يقرر أفعال ربّه سبحانه بحسب موازين عقولها المطففة" [٨].

ثالثاً : تعامل الإمام(عليه السلام) مع مسألة الجبر والتفويض

من المسائل المهمة التي أُثيرت وأُريد بها زعزعة البناء العقائدي للمسلم ما قيل بشأن قضية الجبر[٩] الذين ذهبوا بالقول إلى أن المعاصي التي يفعلها الناس هي من الله تعالى لأنه جبرهم على فعل ذلك ، والتفويض[١٠] الذين يقولون بأن الله قد فوّض أعمال العباد إليهم ، وهي في الحقيقة نجدها تتأرجح بين الإفراط والتفريط وقد بيّن الإمام الهادي (عليه السلام) موارد الخطأ في هذين الأمرين ومخالفتهما لرسالة السماء فضلاً عن العقل ، وبيّن (عليه السلام) القول الفصل والمنطق الحق فلم يترك تشخيص المشكلة دون بيان العلاج الأنجع لها ، وورد نص الرسالة كالآتي"ومما اجاب به أبو الحسن علي بن محمد العسكري (عليه السلام) في رسالته إلى أهل الاهواز حين سألوه عن الجبر والتفويض ان قال: اجتمعت الامة قاطبة لا اختلاف بينهم في ذلك: ان القرآن حق لا ريب فيه عند جميع فرقها، فهم في حالة الاجماع عليه مصيبون، وعلى تصديق ما انزل الله مهتدون، ولقول النبي ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ :(لا تجتمع امتي على ضلالة) فأخبر (عليه السلام) ان ما اجتمعت عليه الامة ولم يخالف بعضها بعضا هو الحق، فهذا معنى الحديث لا ما تأوله الجاهلون ، ولا ما قاله المعاندون ... فأما الجبر. فهو: قول من زعم ان الله عز وجل جبر العباد على المعاصي وعاقبهم عليها، ومن قال بهذا القول فقد ظلم الله وكذبه، ورد عليه قوله: "وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا"[١١] وقوله جل ذكره: "ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ"[١٢] مع آي كثيرة في مثل هذا، فمن زعم انه مجبور على المعاصي فقد احال بذنبه على الله وظلمه في عقوبته له، ومن ظلم ربه فقد كذب كتابه، ومن كذب كتابه لزمه (الكفر) بإجماع الامة ... فأما التفويض الذي ابطله الصادق (عليه السلام) وخطأ من دان به، فهو: قول القائل: (ان الله عز وجل فوض إلى العباد اختيار أمره ونهيه وأهملهم). وهذا الكلام دقيق لم يذهب إلى غوره ودقته إلا الائمة المهدية عليهم السلام من عترة آل الرسول صلوات الله عليهم فانهم قالوا: (لو فوض الله أمره إليهم على جهة الاهمال لكان لازما له رضا ما اختاروه واستوجبوا به الثواب، ولم يكن عليهم فيما اجترموا

العقاب إذ كان الاهمال واقعا، وتنصرف هذه المقالة على معنيين: اما ان تكون العباد تظاهروا عليه فالزموه اختيارهم بآرائهم – ضرورة – كره ذلك أم احب فقد لزمه الوهن، أو يكون جل وتقدس عجز عن تعبدهم بالأمر والنهي عن ارادته ففوض أمره ونهيه إليهم، وأجراهما على محبتهم إذ عجز عن تعبدهم بالأمر والنهي على ارادته فجعل الاختيار إليهم في الكفر والايمان، ومثل ذلك: مثل رجل ملك عبدا ابتاعه ليخدمه ويعرف له فضل ولايته، ويقف عند امره ونهيه وادعى مالك العبد: انه قاهر قادر عزيز حكيم، فأمر عبده ونهاه، ووعده على اتباع أمره عظيم الثواب واوعده على معصيته اليم العقاب، فخالف العبد ارادة مالكه، ولم يقف عند أمره ونهيه، فأي امر امره به أو نهاه عنه لم يأتمر على ارادة المولى، بل كان العبد يتبع ارادة نفسه، وبعثه في بعض حوائجه وفيما الحاجة له فصار العبد بغير تلك الحاجة خلافا على مولاه وقصد ارادة نفسه واتبع هواه، فلما رجع إلى مولاه نظر إلى ما أتاه فإذا هو خلاف امره فقال العبد: اتكلت على تفويضك الامر إلي فاتبعت هواي وإرادتي لان المفوض إليه غير محظور عليه لاستحالة اجتماع التفويض والتحظير. ثم قال (عليه السلام) : فمن زعم ان الله فوض قبول أمره ونهيه إلى عباده فقد اثبت عليه العجز، واوجب عليه قبول كلما عملوا من خير أو شر، وابطل أمر الله ونهيه ... ثم قال: ان الله خلق الخلق بقدرته وملكهم استطاعة ما تعبدهم به من الامر والنهي، وقبل منهم اتباع امره ونهيه ورضي بذلك لهم، ونهاهم عن معصيته وذم من عصاه وعاقبه عليها، ولله الخيرة في الامر والنهي يختار ما يريده ويأمر به، وينهى عما يكره ويثبت ويعاقب بالاستطاعة التي ملكها عباده لاتباع أمره واجتناب معاصيه لأنه العدل ومنه النصفة والحكومة، بالغ الحجة بالأعذار والانذار، واليه الصفوة يصطفي من يشاء من عباده، اصطفى محمداً ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ وبعثه بالرسالة إلى خلقه ولو فوض اختيار اموره إلى عباده لأجاز لقريش اختيار امية بن أبي الصلت[١٣] وأبي مسعود الثقفي إذ كانا عندهم أفضل من محمد ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ لما قالوا: " وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ "[١٤] يعنونهما بذلك فهذا هو: (القول بين القولين) ليس بجبر ولا تفويض وبذلك أخبر أمير المؤمنين صلوات الله عليه عباية بن ربعي الاسدي[١٥] حين سأله عن الاستطاعة التي بها يقوم ويقعد ويفعل، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: سألت عن الاستطاعة تملكها من دون الله أو مع الله ؟ فسكت عباية، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: قل يا عباية، قال وما أقول ؟ قال عليه السلام: إن قلت: إنك تملكها مع الله قتلتك

وإن قلت: تملكها دون الله قتلتك قال عباية: فما أقول يا أمير المؤمنين ؟ قال عليه السلام: تقول إنك تملكها بالله الذي يملكها من دونك، فإن يملكها إياك كان ذلك من عطائه، وإن يسلبكها كان ذلك من بلائه، هو المالك لما ملكك والقادر على ما عليه أقدرك، أم سمعت الناس يسألون الحول والقوة حين يقولون: لا حول ولا قوة إلا بالله. قال عباية: وما تأويلها يا أمير المؤمنين ؟ قال عليه السلام: لا حول عن معاصي الله إلا بعصمة الله ولا قوة لنا على طاعة الله إلا بعون الله، قال: فوثب عباية فقبل يديه ورجليه. وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام حين أتاه نجدة يسأله عن معرفة الله، قال: يا أمير المؤمنين بماذا عرفت ربك ؟ قال عليه السلام: بالتمييز الذي خلوني والعقل الذي دلني، قال: أفمجبول أنت عليه ؟ قال: لو كنت مجبولا ما كنت محمودا على إحسان ولا مذموما على إساءة وكان المحسن أولى باللائمة من المسيئ فعلمت أن الله قائم باق وما دونه حدث حائل زائل، وليس القديم الباقي كالحدث الزائل، قال نجدة: أجدك أصبحت حكيما يا أمير المؤمنين، قال أصبحت مخيرا، فإن أتيت السيئة مكان الحسنة فأنا المعاقب عليها. وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لرجل سأله بعد انصرافه من الشام، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن خروجنا إلى الشام بقضاء وقدر ؟ قال عليه السلام: نعم يا شيخ، ما علوتم تلعة[١٦] ولا هبطتم واديا إلا بقضاء وقدر من الله، فقال الشيخ: عند الله أحتسب عنائي يا أمير المؤمنين ؟ فقال عليه السلام: مه يا شيخ، فإن الله قد عظم أجركم في مسيركم وأنتم سائرون، وفي مقامكم وأنتم مقيمون، وفي انصرافكم وأنتم منصرفون ولم تكونوا في شيء من اموركم مكرهين ولا إليه مضطرين، لعلك ظننت أنه قضاء حتم وقدر لازم، لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب ولسقط الوعد والوعيد ولما ألزمت الاشياء أهلها على الحقائق، ذلك مقالة عبدة الاوثان وأولياء الشيطان، إن الله عز وجل أمر تخييرا ونهى تحذيرا ولم يطع مكرها ولم يعص مغلوبا ولم يخلق السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار فقام الشيخ فقبل رأس أمير المؤمنين عليه السلام وأنشأ يقول: أنت الامام الذي نرجو بطاعته [*] يوم النجاة من الرحمن غفرانا أوضحت من ديننا ما كان ملتبسا [**] جزاك ربك عنا فيه رضوانا فليس معذرة في فعل فاحشة * قد كنت راكبها ظلما وعصيانا فقد دل أمير المؤمنين عليه السلام على موافقة الكتاب ونفي الجبر والتفويض اللذين يلزمان من دان بهما وتقلدهما الباطل والكفر وتكذيب الكتاب ونعوذ بالله من الضلالة والكفر، ولسنا ندين بجبر ولا تفويض لكنا

نقول بمنزلة بين المنزلتين وهو الامتحان والاختبار بالاستطاعة التي ملكنا الله وتعبدنا بها على ما شهد به الكتاب ودان به الائمة الابرار من آل الرسول صلوات الله عليهم. ومثل الاختبار بالاستطاعة مثل رجل ملك عبدا وملك مالا كثيرا أحب أن يختبر عبده على علم منه بما يؤل إليه، فملكه من ماله بعض ما أحب ووقفه على امور عرفها العبد فأمره أن يصرف ذلك المال فيها ونهاه عن أسباب لم يحبها وتقدم إليه أن يجتنبها ولا ينفق من ماله فيها، والمال يتصرف في أي الوجهين، فصرف المال أحدهما في اتباع أمر المولى ورضاه، والآخر صرفه في اتباع نهيه وسخطه. وأسكنه دار اختبار أعلمه أنه غير دائم له السكنى في الدار وأن له دارا غيرها وهو مخرجه إليها، فيها ثواب وعقاب دائمان، فإن أنفذ العبد المال الذي ملكه مولاه في الوجه الذي أمره به جعل له ذلك الثواب الدائم في تلك الدار التي أعلمه أنه مخرجه إليها، وإن أنفق المال في الوجه الذي نهاه عن إنفاقه فيه جعل له ذلك العقاب الدائم في دار الخلود. وقد حد المولى في ذلك حدا معروفا وهو المسكن الذي أسكنه في الدار الاولى، فإذا بلغ الحد استبدل المولى بالمال وبالعبد على أنه لم يزل مالكا للمال والعبد في الاوقات كلها إلا أنه وعد أن لا يسلبه ذلك المال ما كان في تلك الدار الاولى إلى أن يستتم سكناه فيها فوفى له لان من صفات المولى العدل والوفاء والنصفة والحكمة، أو ليس يجب إن كان ذلك العبد صرف ذلك المال في الوجه المأمور به أن يفي له بما وعده من الثواب وتفضل عليه بأن استعمله في دار فانية وأثابه على طاعته فيها نعيما دائما في دار باقية دائمة. وإن صرف العبد المال الذي ملكه مولاه أيام سكناه تلك الدار الاولى في الوجه المنهي عنه وخالف أمر مولاه كذلك تجب عليه العقوبة الدائمة التي حذره إياها، غير ظالم له لما تقدم إليه وأعلمه وعرفه وأوجب له الوفاء بوعده ووعيده، بذلك يوصف القادر القاهر. وأما المولى فهو الله جل وعز، وأما العبد فهو ابن آدم المخلوق، والمال قدرة الله الواسعة، ومحنته إظهار الحكمة والقدرة، والدار الفانية هي الدنيا، وبعض المال الذي ملكه مولاه هو الاستطاعة التي ملك ابن آدم، والامور التي أمر الله بصرف المال إليها هو الاستطاعة لاتباع الانبياء والاقرار بما أوردوه عن الله جل وعز، واجتناب الاسباب التي نهى عنها هي طرق إبليس. وأما وعده فالنعيم الدائم وهي الجنة، وأما الدار الفانية فهي الدنيا. وأما الدار الاخرى فهي الدار الباقية وهي الآخرة. والقول بين الجبر والتفويض هو الاختبار

والامتحان والبلوى بالاستطاعة التي ملك العبد. وشرحها في الخمسة الامثال التي ذكرها الصادق (عليه السلام) أنها جمعت جوامع الفضل وأنا مفسرها بشواهد من القرآن والبيان إن شاء الله. "[١٧].

ويبدو أن طول الرسالة يُنبئ عن خطورة وحساسية ما أثير في ذلك الوقت ، إذ أشار أحد الباحثين بالقول عن هذه الرسالة " هي أطول ما ورد في هذا الموضوع ، باعتباره من المسائل التي أُثيرت بقوة في ذلك الوقت ، بحيث كانت سبباً للاختلاف بين أصحابه (عليه السلام) إلى حد الفرقة والتقاطع والعداوة ، فوضع الإمام (عليه السلام) النقاط على الحروف في هذه المسألة الحساسة ، مستدلاً على المنزلة بين المنزلتين من آي الكتاب الكريم والحديث الشريف "[١٨].

رابعاً : موقف الإمام الهادي(عليه السلام) من الفرق المنحرفة

من الفرق الضالة نجد فرقة الواقفة[١٩] التي توقفت عند إمامة الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) ولم تعترف بما جاء بعده من الأئمة الأطهار ،فكان للإمام الهادي (عليه السلام) موقفاً منها وأبان خطأ تصورهم واعتقادهم وكان سبباً في هداية الكثير منهم ، إذ ورد " عن صالح بن الحكم بيايع السابري قال: كنت واقفيا فلما أخبرني حاجب المتوكل بذلك أقبلت أستهزئ به إذ خرج أبو الحسن فتبسم في وجهي من غير معرفة بيني وبينه قال: يا صالح ان الله تعالى قال في سليمان: "فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ"[٢٠] ونبيك وأوصياء نبيك أكرم على الله تعالى من سليمان، قال: وكأنما انسل من قلبي الضلالة فتركت الوقف "[٢١].

وفي السياق نفسه روي عن " ابو الحسين سعيد بن سهل البصري المعروف بالملاح قال: دلني أبو الحسن وكنت واقفيا فقال لي: ان كم هذه النومة أما لك ان تنتبه منها ؟ فقدح في قلبي شيئا وغشى علي وتبعت الحق"[٢٢] .

ويبدو أن الفطرة لا زالت نقاوتها موجودة عند ذلك الشخص المعروف بالملاح ولذلك جاءت استجابته لنداء الحق دون تعنت ، فضلاً عن القوة التأثيرية لكلام الإمام الهادي (عليه السلام) التي ناغمت فطرته السلمية وارجعته لجادة الصواب.

خامساً : دور الإمام(عليه السلام) في مواجهة الغلاة

كان للإمام الهادي موقفاً من الغلاة فيما ذهبوا إليه من بدع وأباطيل لا تمت للشرع الإسلامي بصلة ، إذ ورد أن أصحابه أرسلوا إليه رسالة يسألون عن الغلاة وما يدعون إليه ، وما يتخوّف من فسادهم ، فكان جواب الإمام الهادي (عليه السلام) " عدل الله عنكم ما سلكوا فيه من الغلو ، فحسبهم أن تبرّأ أولياؤه منهم ، وجعل الله ما انتم عليه مستقراً ، ولا جعله مستودعاً وثبتكم بالقول الثابت في الدنيا والآخرة ، ولا أضلكم بعد إذ هداكم "[٢٣].

فالإمام الهادي (عليه السلام) في معرض جوابه لم يكتفِ ببيان فساد عقائدهم بل بيّن طريقة التعامل معهم ، والدعاء للثابتين على عقيدتهم كتطمين نفسي لهم وتطييب لقلوبهم ليشكّل دافعاً معنوياً كبيراً .

سادساً : موقف الإمام الهادي (عليه السلام)من بعض الشخصيات

لعل أشد الذين اهتم بأمرهم الإمام الهادي (عليه السلام) هو فارس بن حاتم القزويني الذي طالب الإمام (عليه السلام) بقتله بل دعا الأمر أن يتدخل حتى في تعيين نوع السلاح وضمان الجنة لمن يقتله ، إذ ورد " أن أبا الحسن العسكري (عليه السلام) أمر بقتل فارس بن حاتم القزويني وضمن لمن قتله الجنة فقتله جنيد. وكان فارس فتانا يفتن الناس، ويدعو الى البدعة، فخرج من أبي الحسن (عليه السلام) هذا فارس لعنه الله يعمل من قبلي فتانا داعيا الى البدعة ودمه هدر لكل من قتله، فمن هذا الذي يريحني منه ويقتله، وأنا ضامن له على الله الجنة. قال سعد: وحدثني جماعة من أصحابنا من العراقيين وغيرهم بهذا الحديث عن جنيد ثم سمعته أنا بعد ذلك من جنيد: أرسل الي أبو الحسن العسكري (عليه السلام) يأمرني بقتل فارس بن حاتم القزويني لعنه الله، فقلت: لا حتى أسمعه منه يقول لي ذلك يشافهني به. قال: فبعث الي فدعاني فصرت إليه فقال: آمرك بقتل فارس بن حاتم فناولني دراهم من عنده، وقال: اشتر بهذه سلاحا فأعرضه علي، فذهبت فاشتريت سيفا فعرضته عليه، فقال: رد هذا وخذ غيره، قال، فرددته وأخذت مكانه ساطورا فعرضته عليه، فقال: هذا نعم. فجئت الى فارس وقد خرج من المسجد بين الصلاتين المغرب والعشاء فضربته على رأسه فصرعته وثنيت عليه فسقط ميتا، ووقعت الضجة فرميت الساطور

بين يدي واجتمع الناس وأخذت اذلم يوجد هناك أحد غيري، فلم يروا معي سلاحا ولا سكينا وطلبوا الزقاق والدور فلم يجدوا شيئا، ولم ير أثر الساطور بعد ذلك"[٢٤].

وهناك روايات بيّن عدّة خطوات اتخذها الإمام (عليه السلام) كتوصيات للناس قبل الإقدام على قتله وهي كما وردت في الرواية عن بعض أصحابه " عن ابراهيم بن داود اليعقوبي، قال: كتبت إليه يعني أبا الحسن (عليه السلام) أعلمته أمر فارس بن حاتم فكتب: لا تحفلن به وان أتاك فاسخف به"[٢٥].

وفي رواية ثانية " عن موسى، قال: كتب عروة الى أبي الحسن (عليه السلام) في أمر فارس بن حاتم، فكتب: كذبوه وهتكوه أبعد الله وأخزاه فهو كاذب في جميع ما يدعي ويصف، ولكن صونوا أنفسكم عن الخوض والكلام في ذلك، وتوقوا مشاورته ولا تجعلوا له السبيل الى طلب الشر كفانا الله مؤنته ومؤنة من كان مثله. [٢٦]".

وأشار أحد الباحثين مجملاً لتلك الخطوات من الإمام (عليه السلام) تجاه فارس القزويني بالقول " وقد وقف له الإمام الهادي (عليه السلام) بالمرصاد ويمكن تبيان موقفه بالتالي :

أ. دعوة الشيعة إلى الاستخفاف به وعدم الاهتمام.

ب . عدم الخوض معه بالكلام والمناقشات خوفاً من إفساده .

جـ عدم ادخاله بشيء من أمور الشيعة أو مشاورته .اد. هتكه ومكاتبة اقطاب الشيعة بأمره وأمرهم بكشفه أمام الشيعة مع مراعاة عد تسرب الأمر إلى المخالفين"[٢٧] .

ويبدو أن الأسباب التي دعت الإمام الهادي (عليه السلام) لاتخاذ مثل هذا الموقف تجاه فارس القزويني ، لأنه كان يمثل زعيم الغلاة[٢٨]، وكونه رجل له مركز مهم يؤهله لقبض الأموال من الشيعة ولكنه خان الأمانة وأسرف في ذلك فشكل خطراً على التحرك [٢٩]، وذكر عنه أيضاً إنّه كان "فتاناً يفتن الناس، ويدعو الى البدعة"[٣٠]، فضلاً عن امكانيته العلمية المؤثرة لا سيما بعد أن أورد له مجموعة من المؤلفات ومنها " له كتاب الرد على الواقفة، وكتاب الحروب، وكتاب التفضيل، وكتاب عدد الائمة (عليهم السلام) من حساب الجمل، وكتاب الرد على

الاسماعيلية[٣١] فيكون بذلك ممتلكاً لتأسيس معرفي قادر على التأثير في عقلية وتفكير الناس مما حدا بالإمام (عليه السلام) أن يستجيب بقدر ذلك التحدي .

ورب سائل يسأل هل ما أقدم عليه الإمام الهادي (عليه السلام) من دعوة لقتل فارس هو مصادرة للآراء ومخالف للشريعة ؟

الإمام الهادي (عليه السلام) هو سليل النبوة وما يفعله يستند على أرضية ومرجعية شرعية لما أقرته السماء والسنة النبوية ، وما فعله بقراره ضد فارس القزويني نجد هناك في السيرة النبوية حالات مشابهة وقد أمر بقتلهم النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لا بل أخف وطأة مما فعله فارس ولك أن تأخذ ما حدث مع كعب بن الأشرف عندما أمر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بقتله[٣٢] إذ أمرَ النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) بقتله لأنه كان شاعر يحرّض المشركين على المسلمين بشعره ، فالإمام الهادي (عليه السلام) لم يخالف سيرة النبي بل كان واجبه الشرعي والأخلاقي يُملي عليه أن يتصدى ويتخذ قرارات حازمة إزاء هذا الخطر الذي يصيب البناء العقائدي للأمة.

سابعاً : تصدي الإمام الهادي(عليه السلام) للإجابة على تساؤلات المشككين

هناك نوع من إثارة الشبهات تنطوي تحت مطالب تساؤلية علمية تنطبق عليها مقولة (كلمة حق يراد بها باطل) فظاهر التساؤلات علمية إشكالية لكنها في الحقيقة محاولة من السلطة لإثارة شبهة ضد شخص الإمام الهادي (عليه السلام) للحط من منزلته أن أخفق في الجواب ، ومن ثم تسري تلك الإشكالات والشبهات في جسم الأمة وتشوّش أذهانهم بسؤال الإمام الهادي(عليه السلام) عن مسائل وهي كما وردت في الرواية " موسى بن محمد بن الرضا : لقيت يحيى بن أكثم في دار العامة، فسألني عن مسائل، فجئت إلى أخي علي بن محمد (عليهما السلام) فدار بيني وبينه من المواعظ ما حملني وبصرني طاعته، فقلت له: جعلت فداك إن ابن أكثم كتب يسألني عن مسائل لافتيه فيها، فضحك (عليه السلام) ثم قال: فهل أفتيته ؟ قلت: لا، لم أعرفها ، قال(عليه السلام): وما هي ؟ قلت: كتب يسألني عن قول الله: " قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك " نبي الله كان محتاجا إلى علم آصف ؟. وعن قوله: " وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا "[٣٣] سجد يعقوب وولده ليوسف وهم أنبياء. وعن قوله: " فَإِنْ

كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ "[٣٤]، من المخاطب بالآية ؟ فإن كان المخاطب النبي ﴿ ﷺ ﴾ فقد شك، وإن كان المخاطب غيره فعلى من إذا أنزل الكتاب ؟. وعن قوله: " ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله " ما هذه الابحر وأين هي ؟ وعن قوله: " وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين " فاشتهت نفس آدم (عليه السلام) أكل البر فأكل وأطعم [وفيها ما تشتهي الانفس] فكيف عوقب ؟. وعن قوله:" أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا "[٣٥] يزوج الله عباده الذكران وقد عاقب قوما فعلوا ذلك ؟ وعن شهادة المرأة جازت وحدها وقد قال الله: " وأشهدوا ذوي عدل منكم" ؟ وعن الخنثى وقول علي (عليه السلام) : يورث من المبال، فمن ينظر إذا بال إليه ؟ مع أنه عسى أن يكون امرأة وقد نظر إليها الرجال، أو عسى أن يكون رجلا وقد نظرت إليه النساء وهذا مالا يحل. وشهادة الجار إلى نفسه لا تقبل؟ وعن رجل أتى إلى قطيع غنم فرأى الراعي ينزو على شاة منها فلما بصر بصاحبها خلى سبيلها، فدخلت بين الغنم كيف تذبح وهل يجوز أكلها أم لا ؟. وعن صلاة الفجر لم يجهر فيها بالقراءة وهي من صلاة النهار وإنما يجهر في صلاة الليل ؟. وعن قول علي (عليه السلام) لابن جرموز: بشر قاتل ابن صفية بالنار فلم يقتله وهو إمام ؟ وأخبرني عن علي (عليه السلام) لم قتل أهل صفين وأمر بذلك مقبلين ومدبرين وأجاز على الجرحى ، وكان حكمه يوم الجمل أنه لم يقتل موليا ولم يجز على جريح ولم يأمر بذلك، وقال: من دخل داره فهو آمن، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، لم فعل ذلك ؟ فإن كان الحكم الاول صوابا فالثاني خطأ. وأخبرني عن رجل أقر باللواط على نفسه أيحد، أم يدرأ عنه الحد ؟ قال (عليه السلام): اكتب إليه، قلت: وما أكتب ؟ قال (عليه السلام): اكتب بسم الله الرحمن الرحيم وأنت فألهمك الله الرشد أتاني كتابك فامتحنتنا به من تعنتك لتجد إلى الطعن سبيلا إن قصرنا فيها، والله يكافيك على نيتك وقد شرحنا مسائلك فأصغ إليها سمعك وذلل لها فهمك واشغل بها قلبك، فقد لزمتك الحجة والسلام. سألت: عن قول الله جل وعز: " قال الذي عنده علم من الكتاب "فهو آصف بن برخيا ولم يعجز سليمان (عليه السلام) عن معرفة ما عرف آصف لكنه صلوات الله عليه أحب أن يعرف أمته من الجن والانس أنه الحجة من بعده، وذلك من علم سليمان (عليه السلام) أودعه عند آصف بأمر الله، ففهمه ذلك لئلا يختلف عليه في إمامته ودلالته كما فهم سليمان (عليه السلام) في حياة داود عليه(عليه السلام) لتعرف نبوته وإمامته من بعده لتأكد الحجة على الخلق. وأما سجود يعقوب(عليه السلام) وولده فكان طاعة لله ومحبة ليوسف (عليه السلام)

كما أن السجود من الملائكة لآدم(عليه السلام) لم يكن لآدم (عليه السلام) وإنما كان ذلك طاعة لله ومحبة منهم لآدم (عليه السلام) ، فسجود يعقوب (عليه السلام) وولده ويوسف (عليه السلام) معهم كان شكرا لله باجتماع شملهم، ألم تره يقول في شكره ذلك الوقت: " رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث – إلى آخر الآية – ". وأما قوله: " فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب " فإن المخاطب به رسول الله ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ ولم يكن في شك مما انزل إليه ولكن قالت الجهلة: كيف لم يبعث الله نبيا من الملائكة ؟ إذ لم يفرق بين نبيه وبيننا في الاستغناء عن المآكل والمشارب والمشي في الاسواق، فأوحى الله إلى نبيه " فاسأل الذين يقرؤون الكتاب " بمحضر الجهلة، هل بعث الله رسولا قبلك إلا وهو يأكل الطعام ويمشي في الاسواق ولك بهم اسوة. وإنما قال: " فإن كنت في شك " ولم يكن شك ولكن للنصفة كما قال: " تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين " ولو قال: عليكم لم يجيبوا إلى المباهلة، وقد علم الله أن نبيه يؤدي عنه رسالاته وما هو من الكاذبين، فكذلك عرف النبي ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ أنه صادق فيما يقول ولكن أحب أن ينصف من نفسه. وأما قوله: " ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله " فهو كذلك لو أن أشجار الدنيا أقلام والبحر يمده سبعة أبحر وانفجرت الارض عيونا لنفدت قبل أن تنفد كلمات الله وهي عين الكبريت وعين النمر وعين برهوت وعين طبرية وحمة ماسبذان وحمة إفريقية يدعى لسنان وعين بحرون ، ونحن كلمات الله التي لا تنفد ولا تدرك فضائلنا. وأما الجنة فإن فيها من المآكل والمشارب والملاهي ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وأباح الله ذلك كله لآدم (عليه السلام) والشجرة التي نهى الله عنها آدم (عليه السلام) وزوجته أن يأكلا منها شجرة الحسد عهد إليهما أن لا ينظر إلى من فضل الله على خلائقه بعين الحسد فنسي ونظر بعين الحسد ولم يجد له عزما وأما قوله: " أو يزوجهم ذكرانا وإناثا " أي يولد له ذكور ويولد له إناث، يقال لكل اثنين مقرنين زوجان كل واحد منهما زوج، ومعاذ الله أن يكون عنى الجليل ما لبست به على نفسك تطلب الرخص لارتكاب المآثم " ومن يفعل ذلك يلق أثاما (***) يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا " إن لم يتب. وأما شهادة المرأة وحدها التي جازت فهي القابلة جازت شهادتها مع الرضا، فإن لم يكن رضى فلا أقل من امرأتين تقوم المرأتان بدل الرجل للضرورة، لان الرجل لا يمكنه أن يقوم مقامها، فإن كانت وحدها قبل قولها مع يمينها. وأما قول

علي(عليه السلام) في الخنثى فهي كما قال : ينظر قوم عدول يأخذ كل واحد منهم مرآة وتقوم الخنثى خلفهم عريانة وينظرون في المرايا فيرون الشبح فيحكمون عليه. وأما الرجل الناظر إلى الراعي وقد نزا على شاة فإن عرفها ذبحها وأحرقها، وإن لم يعرفها قسم الغنم نصفين وساهم بينهما، فإذا وقع على أحد النصفين فقد نجا النصف الآخر، ثم يفرق النصف الآخر فلا يزال كذلك حتى تبقى شاتان فيقرع بينهما فأيتها وقع السهم بها ذبحت وأحرقت ونجا سائر الغنم . وأما صلاة الفجر فالجهر فيها بالقراءة، لان النبي ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ كان يغلس بها فقراءتها من الليل. وأما قول علي (عليه السلام) : بشر قاتل ابن صفية بالنار فهو لقول رسول الله ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ وكان ممن خرج يوم النهروان فلم يقتله أمير المؤمنين (عليه السلام) بالبصرة، لأنه علم أنه يقتل في فتنة النهروان. وأما قولك: إن عليا (عليه السلام) قتل أهل الصفين مقبلين ومدبرين وأجاز على جريحهم ، وإنه يوم الجمل لم يتبع موليا ولم يجز على جريح ومن ألقى سلاحه آمنه ومن دخل داره آمنه، فإن أهل الجمل قتل إمامهم ولم تكن لهم فئة يرجعون إليها وإنما رجع القوم إلى منازلهم غير محاربين ولا مخالفين ولا منابذين ، رضوا بالكف عنهم، فكان الحكم فيهم رفع السيف عنهم والكف عن أذاهم، إذ لم يطلبوا عليه أعوانا، وأهل صفين كانوا يرجعون إلى فئة مستعدة وإمام يجمع لهم السلاح وساهم بينهما أي قارع بينهما. يهيئ لهم الانزال ويعود مريضهم ويجبر كسيرهم ويداوي جريحهم ويحمل راجلهم ويكسوا حاسرهم ويردهم فيرجعون إلى محاربتهم وقتالهم ، فلم يساو بين الفريقين في الحكم لما عرف من الحكم في قتال أهل التوحيد لكنه شرح ذلك لهم، فمن رغب عرض على السيف أو يتوب من ذلك. وأما الرجل الذي اعترف باللواط فإنه لم تقم عليه بينة وإنما تطوع بالإقرار من نفسه وإذا كان للإمام الذي من الله أن يعاقب عن الله كان له أن يمن عن الله، أما سمعت قول الله: " هذا عطاؤنا – " قد أنبأناك بجميع ما سألتنا عنه فاعلم ذلك"[٣٦].

وفي رواية أخرى أن المتوكل دعا ابن السكيت لسؤال الإمام الهادي (عليه السلام) قبل إيلاء المهمة ليحيى ابن اكثم وعندما عجز ابن السكيت انبرى ابن أكثم لتلك المهمة التي باءت بالفشل، وإليك نص الرواية "وقال المتوكل لابن السكيت: اسأل ابن الرضا مسألة عوصاء بحضرتي، فسأله فقال: لم بعث الله موسى بالعصا ؟ وبعث عيسى بإبراء الاكمه والابرص وإحياء الموتى ؟ وبعث محمدا ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ى بالقرآن والسيف ؟. فقال أبو الحسن(عليه السلام):

بعث الله موسى بالعصا واليد البيضاء في زمان الغالب على أهله السحر فأتاهم من ذلك ما قهر سحرهم وبهرهم وأثبت الحجة عليهم، وبعث عيسى بإبراء الاكمه والابرص وإحياء الموتى بإذن الله في زمان الغالب على أهله الطب فأتاهم من إبراء الاكمه والابرص وإحياء الموتى بإذن الله فقهرهم وبهرهم، وبعث محمدا ﴿ ﷺ ﴾ بالقرآن والسيف في زمان الغالب على أهله السيف والشعر فأتاهم من القرآن الزاهر والسيف القاهر ما بهر به شعرهم وقهر سيفهم وأثبت الحجة عليهم. فقال ابن السكيت: فما الحجة الآن ؟ قال: العقل يعرف به الكاذب على الله فيكذب ، فقال يحيى بن أكثم: ما لابن السكيت ومناظرته وإنما هو صاحب نحو وشعر ولغة "[٣٧].

فالإمام الهادي (عليه السلام) أجاب بما لا يترك مجال أو منفذ ليحيى بن أكثم أن ينفذ من خلاله للطعن بشخصية الإمام (عليه السلام) أو باستغلال أي تقصير في الجواب لبثه في المنظومة الفكرية للمجتمع ، وقد أفحمه الإمام (عليه السلام) خير إفحام ، ودلالة ذلك ما ورد عل لسان يحيى نفسه بالقول "فلما قرأ ابن أكثم قال للمتوكل: ما نحب أن تسأل هذا الرجل عن شيء بعد مسائلي هذه وانه لا يرد عليه شيء بعدها إلا دونها وفي ظهور علمه تقوية للرافضة"[٣٨].

وهناك حادثة في زمن المتوكل العباسي دعت الإمام الهادي(عليه السلام) إلى التدخل لتصويب ما قُرر من قبل علماء السلطة الذين زاغو عن الحق ولم يحكموا بما أنزل الله مما يؤسس ذلك لانحرافات أخرى مستقبلية توجب من الإمام(عليه السلام) أن يقف موقفاً واضحاً وصريحاً من هذه الانحرافات التي لها خطورة أكبر كونها صادرة ممن يسمى بالعماء ومنهم على مقربة وتماس من السلطة فيكون مستواهم التأثيري أبلغ في العامة ، وهذه الحادثة كما رواتها الروايات " قدم إلى المتوكل رجل نصراني فجر بامرأة مسلمة فاراد أن يقيم عليه الحد فاسلم فقال: يحيى بن أكثم قد هدم إيمانه شركه وفعله وقال بعضهم: يضرب ثلاثة حدود وقال بعضهم: يفعل به كذا وكذا فأمر المتوكل بالكتاب إلى أبي الحسن الثالث (عليه السلام) وسؤاله عن ذلك فلما قرء الكتاب كتب: يضرب حتى يموت فأنكر يحيى بن أكثم وأنكر فقهاء العسكر ذلك وقالوا: يا أمير المؤمنين سل عن هذا فإنه شيء لم ينطق به كتاب ولم تجئ به سنة فكتب إليه أن فقهاء المسلمين قد أنكروا هذا وقالوا: لم يجئ به سنة ولم ينطق به كتاب فبين لنا لم أوجبت عليه الضرب حتى يموت؟ فكتب

بسم الله الرحمن الرحيم " فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ "[٣٩][٤٠].

الإمام الهادي (عليه السلام) أسّس من خلال منهجه الفكري منهج مرجعيّة القرآن ، إذ كان (عليه السلام) دائمًا يستند إلى القرآن، إذا أصدر حكمًا يحضر دليلاً منه ، إذا حاور العلماء وناظرهم يحضر أدلته من القرآن، وكان يؤكّد على مرجعيّة القرآن الكريم، وضرورة الاحتكام إليه وعدم نبذه وراء ظهورهم .

المبحث الثاني/ موقف الإمام الهادي(عليه السلام) من الشبهات العقائدية المتعلقة بأصل التوحيد

الزيغ عن طريق الحق غالباً ما يبدأ من أفراد ثم تتسع دائرته ليأخذ بُعداً أكثر شمولية وخطراً على الأمة ، لا سيما مع وجود من يمتلكون من التأسيس المعرفي البنّاء ولهم بُعد كاريزمي مؤثر يستطيعوا من خلاله التوظيف في مجالات متعددة ، ولهذا نجد إن الإمام الهادي (عليه السلام) وطبقاً لدوره الرسالي ومسؤوليته الشرعية في التحصين العقائدي من الأفراد إلى الجماعات والفرق إلى المجتمع والأمة قد انبرى لتلك المحاولات التي أخذ بعضهم ساعين لنشر بذور الفتنة عقائدياً وفكرياً ، ولنا ان نستعرض مجموعة من هؤلاء وما قاموا به وبيان الكيفية التي تصدى بها الإمام الهادي (عليه السلام) في سبيل المعالجة الأمثل لذلك الخطر الداهم على جسم الأمة الإسلامية ، ولنا ان نستبين جملة من مواقف الإمام الهادي(عليه السلام) تجاه القضايا المرتبطة بهذا الشأن .

أولاً : صفات الباري عز وجل

في مجالات الإشكالات العقائدية فيما يتعلق بالتوحيد والتشبيه وصفات الله الثبوتية وغيرها، إذ روي في جملة من تصويبات الإمام الهادي (عليه السلام) لبعض الأشخاص " عن الفتح بن يزيد، عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: سألته عن أدنى المعرفة فقال: الاقرار بأنه لا إله غيره ولا شبه له ولا نظير وأنه قديم مثبت موجود غير فقيد وأنه ليس كمثله شيء"[٤١] ، وروي أيضاً "

عن حمزة بن محمد قال: كتبت إلى أبي الحسن (عليه السلام) أسأله عن الجسم والصورة فكتب: سبحان من ليس كمثله شيء لا جسم ولا صورة"[٤٢] ، وعن" محمد بن الفرج الرخجي قال: كتبت إلى أبي الحسن (عليه السلام) أسأله عما قال هشام بن الحكم في الجسم وهشام بن سالم في الصورة فكتب: دع عنك حيرة الحيران واستعذ بالله من الشيطان، ليس القول ما قال الهشامان"[٤٣].

وأشار أحد الباحثين في تبرئة هشام بن الحكم وهشام بن سالم من هذه التقولات بالقول " وهذان الهشامان كانا من أجل أصحاب الإمامين الصادق والكاظم (عليهما السلام) ، وما نسب إليهما من التجسيم مكذوب عليهما فيه وقد رميا بهذه الفرية للحط من منزلتهما "[٤٤].

وفي السياق نفسه روي "عن محمد بن عيسى قال: كتبت إلى أبي الحسن علي بن محمد (عليهما السلام): جعلني الله فداك يا سيدي قد روي لنا: أن الله في موضع دون موضع على العرش استوى، وأنه ينزل كل ليلة في النصف الاخير من الليل إلى السماء الدنيا، وروي: أنه ينزل عشية عرفة ثم يرجع إلى موضعه، فقال بعض مواليك في ذلك: إذا كان في موضع دون موضع، فقد يلاقيه الهواء ويتكنف عليه والهواء جسم رقيق يتكنف على كل شيء بقدره، فكيف يتكنف عليه جل ثناؤه على هذا المثال؟ فوقع (عليه السلام) : علم ذلك عنده وهو المقدر له بما هو أحسن تقديرا واعلم أنه إذا كان في السماء الدنيا فهو كما هو على العرش، والاشياء كلها له سواء علما وقدرة وملكا وإحاطة"[٤٥].

هذه الإجابات من الإمام الهادي (عليه السلام) تدل على علمية تامة وشعور بالمسؤولية في دحض كل الافتراءات والإثارات العقائدية التي تشوش ذهنية الأمة وتؤثر على مستوى الإيمان العقائدي عندهم ، فالإحاطة الشاملة في جواب الإمام (عليه السلام) رسمت الصورة الواضحة واغلقت كل منافذ التشويش والافتراء .

ثانياً : رؤية الباري تعالى

هناك ما يشير إلى عمق علمي في أحد أجوبة الإمام الهادي (عليه السلام) لأحد السائلين عن إمكانية رؤية الله تعالى ، إذ روي " احمد بن اسحاق قال كتبت إلى أبي الحسن علي بن محمد العسكري(عليه السلام) اسأله عن الرؤية وما فيه الخلق فكتب: لا تجوز الرؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواء ينفذه البصر، فمتى انقطع الهواء وعدم الضياء لم تصح الرؤية، وفي جواب اتصال الضيائين الرائي والمرئي وجوب الاشتباه، والله تعالى منزه عن الاشتباه، فنثبت انه لا يجوز عليه سبحانه الرؤية بالإبصار، لان الاسباب لابد من اتصالها بالمسببات"(٤٦).

وورد جواب الإمام الهادي (عليه السلام) بلفظ آخر وهو " عن أحمد بن إسحاق، قال: كتبت إلى أبي الحسن الثالث (عليه السلام) أسأله عن الرؤية وما فيه الناس فكتب (عليه السلام) لا يجوز الرؤية ما لم يكن بين والمرئي هواء ينفذه البصر، فإذا انقطع الهواء وعدم الضياء بين الرائي والمرئي لم تصح الرؤية وكان في ذلك الاشتباه لان الرائي متى ساوى المرئي في السبب الموجب بينهما في الرؤية وجب الاشتباه وكان في ذلك التشبيه، لان الاسباب لابد من اتصالها بالمسببات"(٤٧).

هذه الأجوبة العلمية دعت أحد الباحثين إلى إثارة تساؤلات تعجبية بعلمية الإمام الهادي (عليه السلام) بقوله " فمن لقنك الفيزياء وعلم الطبيعة يا سيدي وقد كنت بين الجواري السود في طفولتك ، ورهن الرقابة والقيود في يفاعك ، وحبيس السجون والسدود منذ مطلع فتوتك وشبابك ؟! من علمك هذا وانت في مرصد من العيون المتفتحة عليك والأنياب المكشرة التي لو أُتيح لها لنهشت لحمك وعرّقت عظمك منذ بزوغ نجمك حتى تدرُّجك نحو الكهولة؟!"(٤٨).

ثالثاً : التنزيه عن الجسمية

وفي مجال تنزيه توحيد الله عز وجل روي " عن إبراهيم بن محمد الهمداني قال: كتبت إلى الرجل . يعني الإمام الهادي (عليه السلام) . : أن من قبلنا من مواليك قد اختلفوا في التوحيد، فمنهم من يقول: جسم، ومنهم من يقول: صورة، فكتب (عليه السلام) بخطه: سبحان من لا يحد ولا يوصف، ليس كمثله شيء وهو السميع العليم – أو قال –: البصير(٤٩).

وبهذا الجواب ينفي الإمام الهادي (عليه السلام) عن الله تعالى التجسيم وينزهه عن أن يحتويه مكان ، أو يشغله حيزاً بل كل ما يتعلق بالتشبيه والتصور.

رابعاً : علم الله عز وجل

بيّن الإمام الهادي (عليه السلام) ما استشكل على بعضهم في صفة العلم عند الله تعالى إذ روي " عن أيوب بن نوح أنه كتب إلى أبي الحسن (عليه السلام) يسأله عن الله عز وجل أكان يعلم الاشياء قبل أن خلق الاشياء وكونها أو لم يعلم ذلك حتى خلقها وأراد خلقها وتكوينها فعلم ما خلق عندما خلق وما كون عند ما كون؟ فوقع بخطه: لم يزل الله عالما بالأشياء قبل أن يخلق الاشياء كعلمه بالأشياء بعد ما خلق الاشياء"(٥٠).

وفي لفظ آخر أكثر تفصيلاً روي "عن الفتح بن يزيد الجرجاني عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: سمعته يقول: هو اللطيف الخبير السميع البصير، الواحد الاحد الصمد الي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، منشئ الاشياء ومجسم الاجسام ومصور الصور، لو كان كما يقولون لم يعرف الخالق من المخلوق، ولا المنشئ من المنشأ، لكنه المنشئ، فرق بين من جسمه وصوره وأنشأه وبينه إذ كان لا يشبهه شيء ولا يشبه هو شيئا، قلت: أجل، جعلني الله فداك، لكنك قلت: الاحد الصمد، وقلت: لا يشبه هو شيئا، والله واحد والانسان واحد، ليس قد تشابهت الوحدانية ؟ ! قال: يا فتح أحلت ثبتك الله، إنما التشبيه في المعاني، فأما في الاسماء فهي واحدة، وهي دلالة على المسمى، وذلك أن الانسان وإن قيل واحد فإنما يخبر أنه جثة واحدة وليس باثنين، فالإنسان نفسه ليس بواحد، لان أعضاءه مختلفة وألوانه مختلفة غير واحدة، وهو أجزاء مجزأة ليس بسواء، دمه غير لحمه ولحمه غير دمه، وعصبه غير عروقه، وشعره غير بشره، وسواده غير بياضه وكذلك سائر الخلق، فالإنسان واحد في الاسم لا واحد في المعنى، والله (جل جلاله)هو واحد في المعنى، لا واحد غيره، لا اختلاف فيه ولا تفاوت ولا زيادة ولا نقصان فأما الانسان المخلوق المصنوع المؤلف من أجزاء مختلفة وجواهر شتى غير أنه بالاجتماع شيء واحد، قلت: جعلت فداك فرجت عني فرج الله عنك"(٥١).

خامساً : شبهة ربوبية الأئمة الأطهار

للإمام الهادي (عليه السلام) دوراً كبيراً في تصحيح الاعتقاد ورفع اللبس الذي كان سائداً عند البعض بربوبية أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، فهو من باب ينفي ذلك ويحذر منه من باب آخر ، فعن الفتح بن يزيد بعدما أجابه الإمام الهادي (عليه السلام) عن الكثير من المسائل المتشعبة وبدقة علمية متناهية وسوس له الشيطان بأن الإمام الهادي (عليه السلام) ليس بشراً عادياً ، فأحس الإمام (عليه السلام) ذلك من الفتح دون أن يصرّح به الأخير ، لكن علم ذلك الإمام الهادي (عليه السلام) من نافذة الغيب التي فتحها الله عز وجل له ، إذ روي عن الفتح قوله " قال فتح فخرجت فلما كان من الغد تلطفت في الوصول إليه فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت يا ابن رسول الله اتأذن لي في مسألة اختلج في صدري امرها ليلتي قال سل وان شرحتها فلي وان امسكتها فلي فصحح نظرك وتثبت في مسألتك واصغ إلى جوابها سمعك ولا تسأل مسألة تعينت واعتن بما تعتني به فان العالم والمتعلم شريكان في الرشد مأموران بالنصيحة منهيان عن الغش واما الذي اختلج في صدرك ليلتك فان شاء العالم انبأك ان الله لم يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فكلما كان عند الرسول كان عند العالم وكلما اطلع عليه الرسول فقد اطلع اوصيائه عليه لئلا تخلو ارضه من حجة يكون معه علم يدل على صدق مقالته وجواز عدالته يا فتح عسى الشيطان اراد اللبس عليك فأوهمك في بعض ما اودعتك وشككك في بعض ما انبأتك حتى اراد ازالتك عن طريق الله وصراطه المستقيم فقلت متى ايقنت انهم كذا فهم ارباب معاذ الله انهم مخلوقون مربوبون مطيعون لله داخرون راغبون فإذا جاءك الشيطان من قبل ما جاءك فاقمعه بما انباتك به فقلت له جعلت فداك فرجت عني وكشفت ما لبس الملعون علي بشرحك فقد كان اوقع في خلدي انكم ارباب قال فسجد أبو الحسن وهو يقول في سجوده راغما لك يا خالقي داخرا خاضعا قال فلم يزل كذلك حتى ذهب ليلي ثم قال يا فتح كدت ان تهلك وتهلك وما ضر عيسى إذا هلك من هلك فاذهب إذا شئت رحمك الله قال فخرجت وانا فرح بما كشف الله عني من اللبس بانهم هم وحمدت الله على ما قدرت عليه فلما كان في المنزل الاخر دخلت عليه وهو متك وبين يديه حنطة مقلوة يعبث بها وقد كان اوقع الشيطان في خلدي انه لا ينبغي ان يأكلوا ويشربوا إذ كان ذلك آفة والامام غير مأوف فقال اجلس يا فتح فان لنا بالرسل اسوة

كانوا يأكلون ويشربون ويمشون في الاسواق وكل جسم مغذو بهذا الا الخالق الرازق لأنه جسم الاجسام وهو لم يجسم ولم يجز ابتناءه ولم يتزايد ولم يتناقص مبرء من ذاته ما ركب في ذات من جسمه الواحد الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد منشئ الاشياء مجسم الاجسام وهو السميع العليم اللطيف الخبير الرؤف الرحيم تبارك وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا لو كان كما وصف لم يعرف الرب من المربوب ولا الخالق من المخلوق ولا المنشئ من المنشاء ولكنه فرق بينه وبين من جسمه وشيّأ الاشياء إذ كان لا يشبهه شيء يرى ولا يشبه شيئا"(٥٢).

فجواب الإمام الهادي (عليه السلام) واضح كوضوح الشمس في رابعة النهار في تنزيههم عن الربوبية ووجوب التحذير من مغبة ما ذهب إليه هذا الشخص بوصفه وسوسة شيطانية ينبغي ازالتها وعدم التفكير بها ، وجواب الإمام (عليه السلام) يُعدّ غير مخصوص بل هو رسالة عامة لكل من يفكر بتفكير ذلك الشخص.

وهناك مجموعة ممن وصل بهم الغلو. مجاوزة الحد . إلى جعل الإمام الهادي (عليه السلام) رباً ومنهم علي بن حسكة ، وهذا ما وجدناه في الرسالة التي بعثها أصحاب الإمام الهادي (عليه السلام) له لبيان موقفه منه ، وإليك نص الرسالة وجواب الإمام (عليه السلام)عليها " كتب بعض أصحابنا الى أبي الحسن العسكري (عليه السلام) : جعلت فداك يا سيدي ان علي بن حسكة يدعي أنه من أوليائك، وأنك أنت الاول القديم، وأنه بابك ونبيك أمرته أن يدعو الى ذلك، ويزعم أن الصلاة والزكاة والحج والصوم كل ذلك معرفتك ومعرفة من كان في مثل حال ابن حسكة فيما يدعى من البابية والنبوة فهو مؤمن كامل سقط عنه الاستعباد بالصلاة والصوم والحج، وذكر جميع شرائع الدين أن معنى ذلك كله ما ثبت لك، ومال الناس إليه كثيرا، فان رأيت أن تمن على مواليك بجواب في ذلك تنجيهم من الهلكة"(٥٣).

وكان جواب الإمام الهادي (عليه السلام) الشافي الذي أعلن براءته من ذلك وحكم بكفره بل وصل إلى المطالبة بقتله ليكون عبرة للآخرين في اتخاذ مثل هكذا أباطيل إذ ورد في جواب الإمام(عليه السلام) " فكتب (عليه السلام) : كذب ابن حسكة عليه لعنة الله وبحسبك أني لا أعرفه في موالي

ماله لعنه الله، فوالله ما بعث الله محمدا ﴿ ﷺ ﴾ والانبياء قبله الا بالحنيفية والصلاة والزكاة والصيام والحج والولاية، وما دعا محمد ﴿ ﷺ ﴾ الا الى الله وحده لا شريك له. وكذلك نحن الاوصياء من ولده عبيد الله لا نشرك به شيئا، ان أطعناه رحمنا، وان عصيناه عذبنا، مالنا على الله من حجة، بل الحجة لله عز وجل علينا وعلى جميع خلقه أبرء الى الله ممن يقول ذلك وانتفى الى الله من هذا القول، فاهجروهم لعنهم الله والجؤوهم الى ضيق الطريق فان وجدت من أحد منهم خلوة فاشدخ رأسه بالصخر "(٥٤).

سادساً : التأويل الباطل للفرائض

ومن تلك الأباطيل أيضاً التي تصدى لها الإمام الهادي (عليه السلام) هي تأويلهم الباطل للفرائض الذي لا يستند على مرجعية واقعية ، إذ رفع إبراهيم بن شيبة رسالة للإمام الهادي يخبره عن قوم عنده يؤلون الفرائض ، ومما جاء فيها "عن ابراهيم بن شيبة، قال كتبت إليه جعلت فداك أن عندنا قوما يختلفون في معرفة فضلكم بأقاويل مختلفة تشمئز منها القلوب، وتضيق لها الصدور، ويروون في ذلك الاحاديث، لا يجوز لنا الاقرار بها لما فيها من القول العظيم، ولا يجوز ردها ولا الجحود لها إذا نسبت الى آبائك، فنحن وقوف عليها. من ذلك أنهم يقولون ويتأولون في معنى قول الله عز وجل: " إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ "(٥٥)، وقوله عز وجل: " وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ "(٥٦) معناها رجل لا ركوع ولا سجود، وكذلك الزكاة معناها ذلك الرجل لا عدد دراهم ولا اخراج مال. وأشياء تشبهها من الفرائض والسنن والمعاصي تأولوها وصيروها على هذا الحد الذي ذكرت لك، فان رأيت أن تمن على مواليك بما فيه سلامتهم ونجاتهم من الاقاويل التي تصيرهم الى العطب والهلاك ؟ والذين ادعوا هذه الاشياء ادعوا أنهم أولياء، ودعوا الى طاعتهم، منهم علي بن حسكة والقاسم اليقطيني، فما تقول في القبول منهم جميعا. فكتب (عليه السلام): ليس هذا ديننا فأعتزله"(٥٧).

وحذّر الإمام الهادي (عليه السلام) منهم ولعنهم برسائل بعثها إلى شيعته وسائر المسلمين وكانت تنطوي على بيان عقائدهم الباطلة موقف الإمام (عليه السلام) من ذلك ، إذ ورد " لعن الله

القاسم اليقطيني ولعن الله علي بن حسكة القمي، ان شيطانا ترائى للقاسم فيوحي إليه زخرف القول غرورا"[٥٨].

ومما يدل على خطورة هؤلاء وحساسية موقفهم نجد تكرار تلك الرسائل والتأكيد عليها من قبل الإمام الهادي (عليه السلام) إذ كتب الإمام (عليه السلام) إلى أحد رجالاته يحذّره من أضاليل هؤلاء الغلاة، إذ ورد في رسالته "أبرء الى الله من الفهري، والحسن بن محمد بن بابا القمي، فأبرء منهما، فأني محذرك وجميع موالي وأني ألعنهما عليهما لعنة الله، مستأكلين يأكلان بنا الناس، فتانين مؤذيين آذاهما الله وأركسهما في الفتنة ركسا. يزعم ابن بابا اني بعثته نبيا وأنه باب عليه لعنة الله، سخر منه الشيطان فأغواه، فلعن الله من قبل منه ذلك، يا محمد ان قدرت أن تشدخ رأسه بالحجر فأفعل فانه قد آذاني آذاه الله في الدنيا والاخرة"[٥٩].

وأشار أحد الباحثين إلى مدى أهمية هذه الرسالة بالقول " وأعربت هذه الرسالة عن مدى تأثر الإمام (عليه السلام) وفزعه من هؤلاء الغلاة الملحدين الذين اندسّوا في صفوف الشيعة لاختلاس أموالهم ، وأخذها بالباطل "[٦٠].

الخاتمة

في ختام البحث لابد لنا من تسجيل ما تبلور بين أيدينا من نتائج تُعدُّ جديرة بالاهتمام يتوجب الإشارة إليها وهي كالآتي :

أولاً : لم تقتصر إثارة الشبهات على فرقة دون أخرى أو جماعة دون أخرى أو فرد دون أخر، فهناك من وضع العصا في عجلة الرسالة الإسلامية من داخل البيت الإسلامي عموماً ومن البيت الشيعي خصوصاً.

ثانياً : كانت استجابة الإمام الهادي(عليه السلام) في التصدي لتلك الشبهات والانحرافات يتمثل بأمرين:

١. استجابة ذاتية وآنية من الإمام(عليه السلام) لشبهة وانحراف تصدر من جماعة أو شخص دون إبلاغه من طرف آخر .

٢. استجابة لدعوات من قبل أفراد أو جماعات التي كانت تصل إليه عبر رسائل أو اللقاء به من وفود .

ثالثاً : لم يقتصر تصدي الإمام الهادي(عليه السلام) لتلك الانحراف على بقعة جغرافية محلية بل تعداه إلى خارج سامراء كما في الرسائل الواردة للإمام من مدينة قم المقدسة .

رابعاً : الانتقال المنهجي ، والتجاوب المرحلي في تعامل الإمام(عليه السلام) مع الشبهات والانحرافات، إذ أن هذه الانتقالات في قبال المستويات المؤسسة لتلك الانحرافات أسهمت في ولادة صيغ جديدة في تعامل الإمام الهادي(عليه السلام) معها ، تجسدت صورتها المثالية من خلال إيقاف

العاصفة العاتية للشبهات ووأد ها داخل المنظومة المجتمعية عبر بوابة التكيف الأمثل ، والتقابل المنهجي المماثل مع الظروف المستجدة ، بلحاظ أدوات المنهج العلاجي المتمثلة بحسن النظر، ودقة الملاحظة ، وسلامة التقدير للأمور ، فضلاً عن وجود البدائل الناجعة كعلاجات مقابلة لشبهات المضللين.

خامساً : اهتم الإمام الهادي(عليه السلام) بتحصين المسلمين فكرياً وعلمياً لمواجهة المعركة الفكرية التي أخذ الطرف الآخر يتكئ عليها ، مما جعل المسلمين في مأمن من المنزلقات الفكرية المُضللة التي تودي بصاحبها إلى التراجع والارتداد ، لا سيما وأن الإمام الهادي(عليه السلام) يُعدّ الحامي الشرعي لتلك الرسالة والمسؤول عن هداية الناس وإبعادهم عن موجات الفتن والضلال .

سادساً : اختلفت نوعيات موقف الإمام الهادي(عليه السلام) مع تلك الشبهات والانحرافات فمن مواجهة الفكر بالفكر وردهم بالأدلة القاطعة والحجج الدامغة إلى الدعوة إلى العزل الاجتماعي والتهميش والمقاطعة لهم إلى الدعوة لقتلهم عندما تستنفد الحلول ولا تنفع معهم الأساليب السلمية والعلمية .

سابعاً : أفرز تعامل الإمام الهادي(عليه السلام) مع تلك الشبهات والانحرافات آثاراً إيجابية في إبطال دعاوى المضللين وأباطيلهم فضلاً عن رجوع الكثير منهم وهداية آخرين .

الهوامش

(١) داود بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، أبو هاشم الجعفري رحمه الله كان عظيم المنزلة عند الأئمة عليهم السلام، شريف القدر، ثقة، روى أبوه عن أبي عبد الله عليه السلام. النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد أبن العباس ت٤٥٠هـ ، رجال النجاشي، ط٥ ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة (١٤١٦هـ) ، ٤١١ .

(٢) الدفناس الأحمق وقيل الأحمق البذي. ابن منظور ، حمد بن مكرم ت٧١١هـ لسان العرب ، ط١ ، دار النشر: دار صادر – بيروت (د. ت) ، ٦ / ٨٥ .

(٣) الحر العاملي ، أبو جعفر محمد بن الشيخ الحسن بن علي ت ١١٠٤ هـ ، الأئمة الإثنا عشرية ، تحقيق : السيد مهدي اللازوردي والشيخ محمد درودي ، الناشر : دار الكتب العلمية (د. ت) ، ص٢٩؛ الكرباسي ، محمد بن جعفر بن محمد بن طاهر الخراساني ت١١٧٥ هـ ، إكليل المنهج في تحقيق المطلب ، تحقيق : السيد جعفر الحسيني الاشكوري ، ط١ ، الناشر : دار الحديث للطباعة والنشر ، قم . إيران ١٤٢٥هـ ، ١٢٩.

(٤) الكعبي ، علي موسى ، معالم الإصلاح عند أهل البيت(عليه السلام) ، الناشر : مركز الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ قم . إيران ، ٨١.

(٥) ع . نجف ، منهاج التحرك عند الإمام الهادي (عليه السلام) ، الطبعة الأولى ، مطبعة وزارة الإرشاد الإسلامي ١٤٠٤هـ ، ١٤١.

(٦) القرشي ، باقر شريف ، موسوعة سيرة أهل البيت(عليه السلام) الإمام علي الهادي (عليه السلام) ، تحقيق مهدي باقر القرشي ، الطبعة الثانية ، الناشر: دار المعروف . مؤسسة الإمام الحسن (عليه السلام) لإحياء تراث أهل البيت(عليه السلام) ٢٠١٢ ، ٣٣ / ٤٠١.

(٧) الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمي ت٣٨١هـ ، الأمالي ، تحقيق قسم الدراسات الاسلامية – مؤسسة البعثة ، الطبعة: الاولى ١٤١٧ هـ ، ص٦٣٩ . ٦٤٠ ؛ المجلسي ، محمد باقر ت١١١١هـ ، بحار الأنوار ، تحقيق : السيد إبراهيم الميانجي . محمد باقر البهبودي ، ط٢ ، الناشر : مؤسسة الوفاء ، بيروت . لبنان ١٩٨٣م ، ٨٩ / ١١٧ . ١١٨.

(٨) سليمان ، كامل ، الإمام علي الهادي (عليه السلام) مع مروق القصر وقضاة العصر ، الطبعة الأولى دار التعارف للمطبوعات ، بيروت لبنان ٢٠٠٠م ، ٢٩٨.

(٩) ينظر :البغدادي ، ابو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد ت٤٢٩هـ ، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، الطبعة: الثانية ، دار النشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت – ١٩٧٧، ٣٢٨ .

(١٩)ينظر : ابن حزم الطاهري ، علي بن أحمد بن سعيد ت٤٥٦هـ ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، دار النشر: مكتبة الخانجي – القاهرة (د. ت) ، ٣ / ٥٤.

(١٠) الكهف / ٤٩ .

(١١) الحج / ١٠ .

(١٢) الثقفي الشاعر المشهور ذكره بن السكن في الصحابة وقال لم يدركه الإسلام وقد صدقه النبي (صلى الله عليه وسلم) في بعض شعره وقال قد كاد أمية أن يسلم. العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر ت٨٥٢هـ، الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، ط١ ، دار النشر: دار الجيل – بيروت – ١٤١٢ – ١٩٩٢، ١ / ٢٤٩.

(١٣) الزخرف / ٣١.

(١٤) روى عن عمر وعلي بن أبي طالب(عليه السلام) وكان قليل الحديث. ابن سعد ، ابو عبد الله محمد بن سعد بن منيع ت٢٣٠هـ ، دار النشر: دار صادر – بيروت – (د.ت) ، ٦ / ١٢٧ .

(١٥) التلعة أرض مرتفعة غليظة يتردد فيها السيل ثم يندفع منها إلى تلعة أسفل منها . ابن منظور، لسان العرب ، ٨ / ٣٦ .

(١٦) ابن شعبة الحراني ،أبو محمد الحسن بن على بن الحسين ق٤ هـ ، تحف العقول عن آل الرسول، عنى بتصحيحه والتعليق عليه على اكبر الغفاري ، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ ، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة . ايران ، ٤٥٨ وما بعدها ؛ الطبرسي ، أبو منصور احمد بن علي بن أبي طالب ت ق ٦ هـ ، الاحتجاج ، تعليقات وملاحظات السيد محمد باقر الخرسان ، منشورات دار النعمان للطباعة والنشر ، النجف الأشرف . ١٩٦٦ ، ٢ / ٢٥١ وما بعدها.

(١٧) الكعبي ، معالم الإصلاح ، ٧٠ . ٧١.

(١٨) ينظر : الأشعري ، ابو الحسن علي بن إسماعيل ، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، تحقيق: هلموت ريتر ، الطبعة: الثالثة ، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت (د. ت) ، ٢٨.

(١٩) ص / ٣٦.

(٢٠) ابن شهر اشوب ، شير الدين أبي عبد الله محمد بن على ت٥٨٨هـ ، مناقب آل ابي طالب ، قام بتصحيحه وشرحه ومقابلته على عدة نسخ خطية لجنة من أساتذة النجف الاشرف ، المطبعة الحيدرية في النجف ١٩٥٦م ، ٥١٠ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ٥٠ / ٢٠٣.

(٢١) ابن شهر اشوب ، ، المصدر نفسه ، ٥١١ ؛ البحراني ، هاشم ت١١٠٧هـ ، مدينة المعاجز ، تحقيق : لجنة التحقيق برئاسة الشيخ عباد الله الطهراني الميانجي ، ط١ ، الناشر : مؤسسة المعارف الإسلامية ، قم . إيران ١٤١٥هـ ، ٧ / ٤٥٦.

(٢٢)؛ ابن حاتم العاملي ، جمال الدين يوسف **بن حاتم بن** فوز **بن** مهند الشامي ت٦٦٤هـ ، الدر النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة (د. ت) ، ٧٣٢.

(٢٣) الطوسي ، رجال الكشي ، ٢ / ٨٠٧ . ٨٠٨.

(٢٤) الطوسي ، المصدر نفسه ، ٢ / ٨٠٦.

(٢٥) الطوسي ، المصدر نفسه ، ٢ / ٨٠٦.

(٢٦)ع . نجف ، منهاج التحرك عند الإمام الهادي (عليه السلام)، ٧٧ . ٨٧.

(٢٧) القرشي ، الإمام الهادي (عليه السلام) ، ٣٣ / ٣٩٩.

(٢٨) ع . نجف ، منهاج التحرك عند الإمام الهادي (عليه السلام) ، ٧٧.

(٢٩) الطوسي ، رجال الكشي ، ٢ / ٨٠٧.

(٣٠) النجاشي ، رجال النجاشي ، ٣١٠.

(٣١) ينظر القصة الكاملة لمقتله : ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك بن هشام ت ٢١٣هـ ، السيرة النبوية ، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد ، ط١ ، دار النشر: دار الجيل – بيروت – ١٤١١ هـ ، ٣/ ٣٢١ . ٣٢٤ .

(٣٢) يوسف / ١٠٠ .

(٣٣) يونس / ٩٤.

(٣٤) الشورى / ٥٠ .

(٣٥) الأربلي ، الأربلي ، أبو الحسن على بن عيسى ت٦٩٣هـ ، كشف الغمة في معرفة الائمة ، دار الاضواء بيروت – لبنان (د.ت) ، ٤٧٦ .

(٣٦) ابن شهر اشوب ، مناقب آل ابي طالب ، ٣ / ٥٠٧.

(٣٧) ابن شهر اشوب ، المصدر نفسه ، ٣ / ٥٠٩.

(٣٨) غافر / ٨٤ . ٨٥ .

(٣٩) الكليني ، الكافي ، ٧ / ٢٣٨.

(٤٠) الكليني ، ابو جعفر محمد بن يعقوب ت٣٢٩هـ ، الاصول من الكافي ، صححه وعلق عليه على اكبر الغفاري ، ط٣ . ، الناشر دار الكتب الاسلامية ، إيران طهران ١٣٨٨هـ ، ١ / ٨٦.

(٤١) الكليني ، المصدر نفسه ، ١ / ١٠٤ .

(٤٢) الكليني ، المصدر نفسه ، ١ / ١٠٥ ؛ الحر العاملي ، أبو جعفر محمد بن الشيخ الحسن بن علي ت ١١٠٤ هـ ، الفصول المهمة في معرفة الأئمة(عليه السلام) ، تحقيق : محمد بن محمد الحسين القائيني ، ط١ ، الناشر : مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا(عليه السلام) ١٤١٨هـ ، ١ / ١٨٧ ؛ الجزائري ، نعمة الله ت١١١٢هـ ، نور البراهين ، تحقيق : السيد مهدي الرجائي ، ط١ ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة (د.ت) ، ١ / ٢٤٧ . ٢٤٨.

(٤٣) سليمان ، كامل ، الإمام علي الهادي (عليه السلام) مع مروق القصر وقضاة العصر ، ٢٨٠. وقد دافع السيد المرتضى . قدس الله سره . عنهما وبرّأ ساحتهما من هذه التهمة وذلك الدس الرخيص ، في كتابه (الشافي) .

(٤٤) الكليني ، الاصول من الكافي ، ١ / ١٢٦.

(٤٥) الطبرسي ، الاحتجاج ، ٢ ٢٥١.

(٤٦) الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمي ت٣٨١هـ ، التوحيد ، صححه وعلق عليه المحقق السيد هاشم الحسيني الطهراني ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة (د. ت) ، ١٠٦.

(٤٧) سليمان ، كامل ، الإمام علي الهادي (عليه السلام) مع مروق القصر وقضاة العصر ، ٢٨٣.

(٤٨) الكليني ، الاصول في الكافي ، ١ / ١٠٢.

(٤٩) الكليني ، المصدر نفسه ، ١ / ١٠٧.

(٥٠) الصدوق ، التوحيد ، ١٨٥.

(٥١) الأربلي ، كشف الغمة ، ٣ / ١٨٠ . ١٨١.

(٥٢) الطوسي ، محمد بن الحسن بن علي بن الحسن ت٤٦٠هـ ، اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي ، تحقيق السيد مهدى الرجائى ، تصحيح وتعليق المعلم الثالث مير دامادالاسترابادي مؤسسة آل البيت عليهم السلام (د. ت) ، ٢ / ٨٠٤ ؛ الميرزا النوري ، حسين بن محمد تقي بن علي محمد ت١٣٢٠هـ ، خاتمة المستدرك ، تحقيق : مؤسسة أهل البيت(عليه السلام) لإحياء التراث ، ط١ ، الناشر : مؤسسة أهل البيت(عليه السلام) لإحياء التراث ، قم . إيران ١٤١٦هـ ، ٥ / ٢٤٤ .

(٥٣) الطوسي ، المصدر نفسه ، ٢ / ٨٠٤.

(٥٤) العنكبوت / ٤٥ .

(٥٥) البقرة / ٨٣.

(٥٦)الطوسي ، رجال الكشي ، ٢ / ٨٠٣.

(٥٨) الطوسي ، المصدر نفسه ، ٢ / ٨٠٥.

(٥٩) الطوسي ، المصدر نفسه ، ٢ / ٨٠٤.

(٦٠) القرشي ، الإمام الهادي (عليه السلام) ، ٣٣ / ٣٩٩.